فن الألوان والصباغة على المنسوجات خلال العصور الإسلامية

الأستاذ الدكتور فريال داود المختار
كلية الأداب - جامعة بغداد
قسم الأثار

رب- قائل :الألوان زينة العالم,وعالم بلا ألوان عالم ممل حزين ولتحديد معنى اللون,يذكر إبن منظور: (اللون هيئة كالسواد و الحمرة..ولون كل شيء ماتصل بينه وبين غيره والجمع ألوان)[١] وفي الحقيقة من منا لا تلفته الألوان بإختلافها وتنوعها أوليس كل ماحولنا من الأشياء ذا لون.

وفي عالم الألوان تتجلى قدرة الخالق و إبداعه عز وجل نراها في الأفق من الليل الأسود الفاحم إلى الخيط الأبيض, والخيط الأسود من الفجر..وإلى مايتبع ذللك في الشروق درجات اللون حتى ترتفع الشمس في كبد السماء ومثلها في الغروب وفي تكوينات الغيوم وفي زرقة البحار وألوان قوس قزح كما نجدها في أنواع الأزهار والورد والأطيار و الثمار وفي بشرة الإنسان والحيوان بل وحتى الحصى و الصخور والتراب حيث تصل ألوانها إلى ((٣٠٠٠)) لون إلا إن العين يمكنها أن تميزفيها ((١٨٠)) لون فقط ولكن الشخص المتوسط لا يستطيع أن يعطي لها أكثر من ٣٠لفظا".

وفي كتاب الله العزيز وردت أيات كريمة بخصوص الألوان جاءت صريحة الألفاظ مرة وأخرى توحي إلى ذلك,نقرأ منها:

في بيان إختلاف ألوان البشر قال تعالى(ومن آياته خلق السموات والأرض وإختلاف ألسنتكم وألوانكم إن ذلك لأيات للعالمين)[٢] .وفي إختلاف ألوان المزروعات :قال عز وجل: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء" فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا" مختلفا" ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا" ثم يجعله حطاما" إن في ذلك لذكرى لإولي الألباب) [٣].

وفي إختلاف ألوان الثمر وكل شييء خلقه سبحانه وتعالى من حولنا ,قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا" ألوانها ومن الجبال جدد[٤] بيض و حمر مختلف ألوانها وغرابيب[٥] سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه...) [٦] .

وفي مجال تحديد الألوان فقد ورد ذكرها في القرأن الكريم وعددها ستة ألوان, هي الأبيض و الأسود و الأخضر و الأصفر و الأزرق ثم الأحمر .

في اللون الأبيض قال سبحانه وتعالى: (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) [٧] وقوله تعالى (وأما الذين إبيضت وجوهم ففي رحمة الله) [٨] .

أما اللون الأسود قال جل شأنه(...وكلوا وإشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر...) [٩],وفي قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه...) [١٠] وقوله تعالى (ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) [١١] .

وجاء اللون الأخضر في قوله جل وعلا: (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا" فإذا أنتم منه توقدون) [١٢] وقوله سبحانه : (...ويلبسون ثيابا" خضرا" من سندس وإستبرق...) [١٣] وفي سورة الدهر جاء : (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق...) [١٤] .

أما اللون الأصفر فقد ورد في سورة البقرة في قوله تعالى :(قالوا إدع لنا ربك يبين لنا مالونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) [١٥] .

أما اللون الأزرق ففي قوله عز وجل: (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا") [١٦] .

ولم يرد اللون الأحمر في القرأن الكريم إلا مرة واحدة في قوله تعالى:(ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود...)[١٧].

وإلى جانب ماسبق ذكره فقد جاءت أسماء ألوان فرعية في القرأن الكريم بدلالات متعددة مثل : الدهمة أي شدة إخضرار الزرع في قوله تعالى : (فبأي ألاء ربكما تكذبان مدهامتان) [١٨] ,ثم (الحوة) وتدل على تغير لون النبات كقوله تعالى :(فجعله غثاء" أحوى) [١٩]. ثم (الحور) في صفة النساء البيض في الجنة في قوله تعالى :(وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) [٢٠].

ومن الألوان الفرعية الأخرى : اللون (الوردي) و(الدهني) في قوله عز وجل :(فإذا إنشقت السماء فكانت وردة كالدهان) [٢١] والوردي لون أحمر ضارب إلى الصقرة الحسنة,أما الدهان : فهو إحمرار جهنم .
أما (اليحموم) أي شدة السواد , في قوله تعالى :(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم و حميم وظل من يحموم) [٢٢].

رموز الألوان

على الرغم من إستخدام اللون كان معروفا" منذ القدم فإنه مازال شعارا" ورمزا" لشيء معين وما يزال يستخدم بين الناس ليومنا هذا حتى صار تقليدا" أو شبه تقليد فإستخدام اللون المناسب في الموقف المناسب ومن الألوان ما أخذ صفة الرمزية بصفة إعتباطية لايظهر فيها الربط بوضوح[٢٣] فقد إتخذ العرب قبل الإسلام اللون الأحمر شعارا" لهم وأعتقد بقدرة اللون الأحمر على طرد الأرواح الشريرة و المرض كما إرتبطت فاعليته بالقوة الجسدية و النشاط و الحياة و يرمز اللون الأحمر إلى الحرب و الثورة بالإضافة إلى الرموز الدينية و العقائدية وكان لمعان الأحمر في النسيج يرمز إلى النار وله خاصية تتعلق بالحياة والسرور من جهة والموت والحرب من جهة أخرى ,وقيل هو لون الدم[٢٤].
كما يرمز اللون الأخضر إلى ثياب أهل الجنة و الحياة المتمثلة في خضرة النبات وجلب المطر ومن ثم خصوبة التربة[٢٥].
أما اللون الأصفر فيرمز هو الأخر إلى الحكمة و إرتباطه بلون الذهب[٢٦] ويرمز اللون الباهت منه إلى الخيانة والغدر ,وقيل عن اللون الأصفر هو لون الحسد والغيرة, إلا إنه بقي محببا" لدى العرب قبل الإسلام وصار غير مستحبا" في الإسلام[٢٧].
وكانت الملابس المزعفرة بالزعفران مفضلة لدى الفنانين و المغنين في العصر العباسي [٢٨] ,وكان الناس يتبارون في إرتداء الملابس ذات الألوان الزاهية ,جاء في المستطرف : (قال بعض الأعراب : رأيت بالبصرة برودا" كأنها نسجت بأنواع الربيع[٢٩].

ويرمز اللون الأسود إلى الحزن والموت فأستعيض عنه باللون البنفسجي الغامق حيث يرمز إلى الحزن والموت كما يعد لون المعدمين والفقراء[٣٠] , وكان اللون الأسود شعارا" للدولة العباسية[٣١].

بقي أن نذكر اللون الأبيض الذي يعد من الألوان المحببة إلى النفس فهو رمز النعمة و الصفاء و النقاء والخير والسلام والقوة[٣٢].

الأصباغ

أما في مجال أصباغ النسيج ,فقد أدرك العراقيون القدماء أهمية ذلك بكونها صفة جمالية وصناعية فأجادوا طرق إستخلاصها وإستعمالها كما أدركوا ومنذ القدم الألوان الطبيعية للمواد الأولية المستخدمة في صناعة النسيج وفي مقدمتها الصوف وألوانه الأحمر والأبيض والأسود وكذلك البني ,فاللون الرمادي مثلا" يحصل عليه من مزج خيط الصوف الأسود و الأبيض, وفي بلاد وادي النيل عرف الإنسان الصباغة في زخرفة المنسوجات ويرجع تاريخ أقدم قطعة مصبوغة إلى العصر الحجري وجدت في منطقة الدلتا الغربية كما تم العثور على قطع كتابية مصبوغة في منطقة الفيوم تعود إلى العصر الحجري الحديث[٣٣].

كما عرف العراقيون القدماء عامة والأشوريون خاصة الأصباغ الرئيسية الثلاثة:

الأحمر و الأزرق و الأصفر وطرق خلط هذه الصبغات ووفق نسب معينة يمكن الحصول على ألوان ثانوية أخرى مثل الأخضر و البنفسجي وغيرها فقد وردت نصوص أثرية تشير إلى طرق إستخلاصها من مصادرها الأولية أو بمزجها و خلطها كيمياويا"[٣٤].

وبما أن الأصباغ هي إحدى مفردات التجارة ضمن الحياة الإقتصادية[٣٥] فقد أشارت تلك النصوص إلى مدى إرتفاع أسعار الخيوط والمنسوجات المصبوغة والتي كانت تعد من الغنائم خلال الألف الأول ق.م[٣٦],فالصوف المصبوغ باللون الأزرق كان يذكر ضمن المواد المدرجة بالجزية المفروضة على بعض المدن[٣٧] ,كما تذكر النصوص الأثرية إستلام صناع النسيج المواد الأولية للنسج من المخازن وكذلك كميات الصبغ ومثبتاتها[٣٨].

وخلال قيام الدولة العربية الإسلامية برزت مراكز صناعية كان من أشهرها مدينة واسط والتي تعد أشهر محل للصبغ بالقرمز , وقد تفنن صباغوها في إظهار رسوم المنسوجات بالألوان الزاهية(٣٩).

المصادر الأولية للأصباغ

عرف سكان بلاد وادي الرافدين ومنذ القدم أنواعا" عديدة من الصبغات وكيفية إستخلاصها من مصادرها الأولية سواء كانت الدهنية منها أو الحيوانية أو النباتية وكذلك الأصباغ الناتجة من الخلطات المعدنية و الأحجار الثمينة .

فمن المصدر الأول إستخدم العراقيون وعلى نطاق ضيق أصباغا" ذات أصول دهنية لتنفيذ العناصر الزخرفية الملونة على النسيج بدلا" من صبغها فإستخدمت لذلك خلطات لونية مختلفة الأصول عضوية و حيوانية تتميز بنفاذها بين خيوط النسيج القطني و الكتاني الأصل, وفي مقدمة هذه الصبغات :

الصبغة الحمراء:- فقد عرفها سكان مناطق الشرق القديم عامة و سكان وادي الرافدين خاصة من الألف الأول ق.م, ويتم إستحصالها عن طريق جمع كميات كبيرة من الحشرات و الديدان ذات الأجنحة النصفية والتي لها قابلية فرز صبغة لونية تنمو على الأشجار الحمضية كالبرتقال و أشجار العفص و أشجار التوت ولحاء أشجار الباوط وهي مشابهة بدودة القرمز التي تكثر في حوض البحر امتوسط إلا أنها تختلف عنها بلونها الأحمر(٤٢),ومنها عرف اللون القرمزي أو الأحمر القاني ,ولإجل الحصول على الصبغة تجمع كميات من الديدان وتغلى في محلول ملحي حامضي ثم تجفف تحت أشعة الشمس وتستعمل .

أما المصدر الثاني للصبغة الحمراء فقد أستحصلت من الأشنات والفطريات التي تنمو على الجدران وبين الصخور ولحاء بعض الأشجار كأشجار الأثل(٤٣),فعرفت(بأشنة الصباغين) (٤٤),ويتم جمع هذه الأشنات وتجفيفها ثم يضاف إليها محلول يحتوي على مادة البوتاس(الملح) فيكون الناتج عصارة لونية زرقاء وحمراء مائلة إلى البنفسجي, علما" إن هذه الصبغة تحتاج إلى الشب لتثبيتها(٤٥).

مصدر أخر أستحصلت منه الصبغة الحمراء الأرجوانية[٤٦] إلا وهو سائل يستخرج من الأجزاء الداخلية لبعض القواقع البحرية والتي تكثر عندالسواحل الشرقية للبحرالمتوسط (بين صور وصيدا) ويعبر عن لون هذا المصدر بإسم (مجموعة الألوان الصدفية) [٤٧], وتمتاز بثباتها على النسيج كلما مرعليها الزمن[٤٨] حتى عرفت بالصبغة الملكية,وتستحصل الصبغة من القواقع بعد كسر جزئها العلوي فيخرج سائل مائل للصفرة,يحفظ في جرار حجرية أومرمرية قليلة المسامات, ولا يحفظ في أواني معدنية وذلك للحيلولة دون تبديل اللون, وعند إستعمالها يضاف إليها الملح , وتترك على النار لتغلي مكونة من سائل يعطي اللون الأزرق واللون الأحمر. ومن رخويات البحر نوع يعرف ب(بلح البحر) [٤٩]يكثر على السواحل (شواطيء صيدا) يستخرج من غدة تقع خلف الرأس وهي بشكل جيب صغير تحوي جزءا" صغيرا" جدا" من سائل رغوي ذي رائحة قوية كرائحة الثوم يشبع النسيج الصوفي أو القطني بهذا السائل فيصبح لونه أخضر ثم أحمر إرجواني غامق يصبح قرمزيا" لماعا" بعد غسله بالماء والصابون[٥٠],ويذكر أن (١٢ألف)من رخويات بلح البحر يمكن الحصول على(١،٥غم) من الصبغ[٥١].

وعرف سكان بلاد الرافدين كيفية إستحصال الصبغ الأحمر القرمزي من صبغة حيوانية الأصل مع صبغة نباتية, ومن جانب أخر فقد إستحصلوها من مصادر نباتية صرفة مثل الفوة ولحاء شجرة التفاح وشجرة البلوط[٥٢],ومن الأحجار الثمينة وأنواع الأملاح ومنها الزاج[٥٣] بأنواعه وألوانه إستخلصت الصبغة الحمراء,علما" أن صبغة الألوان من الزاج وخاصة النوع المخلوط بالأتربة يستخدم لصباغة الملابس والأنسجة.

الأصباغ النباتية:- تستحصل الأصباغ النباتية من جذور وأغصان وأوراق النبات كما تستحصل من الزهور والبذور واللحاء والثمار ولايعرف طبيعة اللون وقوته إلا بعد خلطه وتنفيذه على النسيج,كما أن البعض من هذه الأصباغ يضاف إليها الزيت ليتم تحليله,ومن هذه الأصباغ :-

الصبغة الزرقاء:- ومصدرها نبات النيل أو النيلج ,وأطيافه:الأزرق الغامق والأزرق الأرجواني والأزرق البنفسجي, ومما يذكر أن سكان الشرق

الأوسط عامة والرافدين[٥٤] خاصة يميلون كثيرا"إلى هذا اللون أو يزينون به ملابسهم بشكل أشرطة وعناصر زخرفية أخرى .

وهناك عدة طرق لغرض إستحصال هذه الصبغة يراعى فيها إستخراج العصارة من النبات عند قلعه مباشرة وقبل نضوج النبتة ونمو أزهارها ومن أفضل الطرق :

جمع أوراق النبات ثم غسلها بماء حار فتصبح العصارة خضراء أولا" ثم تتأكسد آنيا"[٥٥] فتصبح زرقاء غامقة تعرف بصبغة النيلج أو صبغ النيل[٥٦] .

طريقة أخرى تحضر أيضا" الصبغة الزرقاء وذلك من تفاعل عصارة النيل مع الصودا الكاوية أو الجير الحي .

وتؤخذ الصبغة أيضا" من نبات الوسمة والذي يكثر في فلسطين , وكان السومريون قد عرفوا هذه الصبغة وطريقة إستعمالها[٥٧] .

أما **الصبغة الصفراء** وأطيافها بختلف درجاتها فقد أخذت من نبات الزعفران ذو الأزهار الصغيرة المحمولة على أغصان صغيرة وقصيرة وبعد تجفيفها يستخرج منها صبغة صفراء مائلة إلى اللون البرتقالي وصبغة صفراء تميل إلى اللون الأحمر[٥٨] , ولكي يتم الحصول على الصبغة الصفراء من الزعفران بمقدار أونس واحد تسحق (٤٣٠٠) زهرة من الزعفران بعد تجفيفها ,لذلك فقط كانت محاليل الصبغة تختلف بالتركيز وتكون مخففة للغاية[٥٩] .

ومن جذور نبات الكركم إستحصلت الصبغة الصفراء أيضا" , علما" أن هذه الصبغة قد عرفت لدى السومرين إذ جاءت في كتاباتهم ومن ثم ذكرها الأشوريون[٦٠] ,ومن شجرة السماق والثمار شجرة الرمان ومزجها بما يستخلص من لحاء الشجرة كمثبت للصبغة الصفراء الحاصل من ذلك.

أما **الصبغة البنفسجية** فتستحصل من عدد ال(mussels) وهي عبارة عن نوع من النباتات تكثر على سواحل لبنان , وتقع الغدة أسفل النبتة , وتحوي جزء قليل من مادة عديمة اللون, كثيفة ,لها رائحة أقرب إلى رائحة الثوم عند تعرضها لضوء الشمس أثناء عملية الصباغة فيتحول لونها إلى الأخضر ثم الأحمر ثم البنفسجي وعند الغسل في الماء والصابون يتحول لونها القرمزي[٦١] .

أما **الصبغة الخضراء** فقد اسخلصت من خلط مصادر تعطي اللون الأصفر مع أخرى تعطي اللون الأزرق وكثرت هذه الصبغة على المنسوجات الكتانية في مصر القديمة كما أ قبل عليها المسلمون في العصر الأسلامي .

ولكن **اللون الأسود** كان غير مرغوبا" من قبل العراقيين القدماء عامة وربما استخدموا بدلا"عنه اللون البنفسجي الغامق والقريب نسبيا"من اللون الأسود , بل إقتصر إستخدام النسيج الأسود كغلاف لبالات الأنسجة الأشورية المصدرة إلى بلاد أخرى.

ويستحصل اللون الأسود من نبات شبيه بالعفص ينمو بالقرب من البصرة وكذلك من نبات السماق مع كبريتات الحديد(٦٢) .

ومن طريف ما يذكر عن اللون الأسود (أن تاجرا" قدم إلى المدينة المنورة كان يحمل من خمر العراق فباع الجميع إلا السود فشكا ذلك إلى الدارمي وكان قد نسك وتعبد فقال بيتين من الشعر وتغنى بهما :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بزاهد متعبد

قد كان شمر للصلاة إزاره حتى قعدت له بباب المسجد

ولما شاع الخبر في المدينة فلم يبق في المدينة إمرأة إلا وإشترت لها خمارا" أسود حتى نفذ ما كان مع التاجر من الخمر ...) (٦٣) .

وسئل بعض العرب عن الثياب فقال (الصفر أشكل والحمر أجمل ,والخضر أقبل, والسواد أهول,والبيض أفضل) (٦٤) .

ألات وأدوات الصباغة

لتنفيذ عملية الصباغة إستخدم الأنسان ألات وأدوات قديمة لايزال البعض منها يستخدم ليومنا هذا, ومن هذه الأدوات التي تم العثورعليها في بعض المواقع الأثرية وخاصة في فلسطين في (صور) الأثرية ومركز صباغة الأنسجة والتي تعود إلى القرن(الثامن ق.م)كان منها أحواض حجرية دائرية الشكل يبلغ إرتفاع كل منها مابين(٧٠- ٩٠سم)تساويها في القطر الخارجي وهي سميكة الجدران يصل قطرها الداخلي مابين(٣٠-٤٥سم)ذات فوهات ضيقة قطرها يتراوح بين (١٥-٢٠ سم)ويحيط بها من

الداخل إخدود دائري يضم ثقوب تبقىمغلقة أثناء عملية الصبغ فيجري فيه الصبغ وتغطي فتحة الحوض غطاء يمنع تناثر الصبغ السائل وتسربه إلى الخارج كما توجد فجوة صغيرة أعلى سطح الحوض يصب من خلالها السائل بواسطة قبع خاص مزود بإنبوب صغير كما يسمح بإختبار محلول الصبغ ومدى درجة تشبع الخيوط المصبوغة ,كما عثر أيضا" على أحواض حجرية وجصية مستطيلة الشكل يصل عمق الواحد منها إلى(٦٥سم) وطولها(١٠٣سم) وبالقرب منها جرة واسعة بدون عراوي كما عثر أيضا" على جرتين مجوفتين فيها بقايا كلس مطفأ وبالقرب من هذه البقايا وجدت دكة ضيقة كانت تضرب عليها المنسوجات أثناء الصبغ, ويستجدم لتحريك النسيج أثناء عملية الصباغة قطعة من الخشب يربط بها النسيج فتحرك بواسطة عتلة كما تستخدم أيضا" في إعادة ما يخرج من النسيج والصبغ أثناء العملية[٦٥] .

وكانت مباني المصابغ تبنى على جانبي أحواض الأنهار لما يتطلبه العمل من كثرة إستعمال المياه ومع ذلك فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن تلول صغيرة من القواقع المستخدمة في الأصباغ في عدة مواقع أثرية مثل كبش ولكش ونوزي وأشور ونمرود وغيرها, وفي هذا الخصوص يذكر ليفي (وإنجاز التدرج اللون المتنوع للملابس فإن سكان بلاد مابين النهرين القدماء قد يسروا لأنفسهم لبس أوعية الأصباغ الأساسية فحسب بل مثبتات الألوان أيضا"[٦٦] .

عملية الصبغ:- تتم عملية الصباغة للغزول قبل النسج,والمنسوجات قبيل الخياطة كما جاء في الكثير من النصوص الأثرية وتسبقها عملية القصر أي التبيض[٦٧] ,ثم تتم بالشكل الأتي :

تنقع الغزول أو النسيج في خلاصة الشعير[٦٨] أو محلول الشب أو إحدى المثبتات للصبغ ثم وضعها في قدر نحاسي وتسخينها تدريجيا" على نار هادئة مع إضافة محلول الصبغة ومثبتها وخلال هذه العملية تحرك الغزول أو النسيج بواسطة عصا خشبية عدة مرات ليتم توزيع الصبغة بشكل متجانس عليها وقبل أخراجها من الصبغة يضاف إليها الماء ليخفض هذه الصبغة ثم ترفع بعدها لتغسل بالماء وتنشر تحت أشعة الشمس لتكتسب

بريقا" ولمعانا" أو يكتفي بنشرها في الهواء الطلق كما هو الحال في وقتنا الحاضر .

طرق الزخرفة على المنسوجات:- بعد أن عرف الأنسان الصباغة في تلوين المنسوجات بدأ يفكر في الإستفادة منها بإسلوب زخرفي يستطيع عن طريقها نقش الزخارف الهندسية و النباتية وكذلك الحيوانية فإخترع :

طباعة النسيج :- وفيها يستخدم الصباغ ألوانا" لاتتأثر بالماء .

والطباعة طريقة قديمة عرفها الإنسان منذ العصور القديمة ومن المعلوم إنه لم يعثر في بلاد وادي الرافدين على نموذج منها وذلك لطبيعة الظروف المناخية وطبيعة التربة العراقية إلا إننا نستدل على وجود هذه الصناعة القديمة مما عثر عليه في المقابر المصرية الفرعونية(٦٩) والتي تعود إلى ماقبل الأسرات فقد ظهرت معظم حافاتها مطبوعة باللون الأحمر وهي من نسيج الكتان والصوف .

ومما يذكر إن المصريين كانوا قد عرفوا طباعة المنسوجات بطريقة إستخدام المواد العازلة مثل الشمع والطفل(٧٠), إستمر ذلك إلى ماقبل الإسلام ولما دخل العرب الفاتحون مصر قل إستعمال الطباعة كوسيلة في زخرفة المنسوجات ثم عادت إلى الظهور بشكل واضح في العصر المملوكي .

وفي الهند عرفت المنسوجات القطنية المرسومة والمطبوعة بألوانها الناصعة والمنفذة بواسطة المواد العازلة, وكذلك ظهرت في الصين مضافا" إليها طريقة القالب كما ظهرت في جاوة و إيران وبطرق متطورة أخرى .

وتتم زخرفة المنسوجات بالطباعة وفق طرق متعددة نذكر منها :

أ) **الطباعة بواسطة المواد العازلة مثل الشمع والطفل** :- وتتم برسم العناصر الزخرفية باليد على النسيج ثم تغطى بالمواد العازلة المساحات والزخارف المراد طباعتها بلون معين ,ثم يغمس النسيج في أحواض الصباغة وعندها تمنع المواد العازلة تسرب لون الصباغة إلى المساحات المغطاة بها .

ب) **طريقة القوالب** :- وتعد من أهم الطرق الزخرفية وذلك لسهولة تنفيذها وقدرتها الكبيرة على الأنتاج السريع ,وتتم برسم العناصر

الزخرفية على القالب الخشبي ثم تحفر حفرا" بارزا" ويسمى ذلك بالقالب الأيجابي, أو تحفر حفرا" غائرا" فيعرف بالقالب السلبي, ثم يغمس القالب في مادة الصبغة ويطبع على النسيج فيظهر العنصر الزخرفي ملونا" بالصبغة في حالة القالب الإيجابي وباللون الأبيض في حالة القالب السلبي, بينما الإطار المحيط ينفذ بطريقة الصبغ(٧١).

ت) **طريقة الباتيك** :- وتقسم إلى قسمين :الباتيك الشمعي والباتيك المربوط ويمتاز النسيج المطبوع بهذه الطريقة بتداخل في الألوان وظهورها بشكل عروق جميلة, أما الباتيك الشمعي فتتم بطريقتين :الأولى تنفذ برسم الزخرفة على وجهي النسيج بواسطة شمع النحل الساخن حتى يملأ التصميم الزخرفي ثم يترك ليبرد ثم يغمر النسيج في ماء بارد فيعمل على تكسر سطح الشمع باليد لإحداث شقوق بعدها يغمر النسيج في حوض الصبغة فتحدث أشكال مجزعة معرقة ثم تتم عملية الصبغ بوضع النسيج في أحواض في ماء مغلي ليذوب شمع النحل ويزول .

والقسم الأخر من هذه الطريقة حيث يستخدم فيها خيوط دقيقة ومشمعة تربط بها أجزاء من القماش لمنع تسرب الصبغة إليه وبعد تنفيذ عملية الصبغ تظهر المناطق المربوطة بلون أبيض خالية من الصبغ, ومن الجدير بالذكر أن هذه الطريقة تحتاج إلى عدة أيام لإتمام تنفيذها بالشكل المطلوب, وقد شاعت وعرفت في جاوة منذ سنة (٤٠٠م) (٧٢).

د) **طريقة قلم كار** :- وتتم بالجمع بين رسم العناصر الزخرفية المراد تنفيذها على النسيج وذلك بإستخدام القلم ثم الطبع بالقالب وقد شاعت في إيران خلال اقرن الحادي عشر الهجري(١٧م) وتنفذ بإستخدام قوالب خشبية تغمس في مادة صمغية أو شمعية ثم يرش عليها مسحوق ذهبي أو فضي ويطبع على النسيج فتظهر الزخارف بارزة لماعة, وفي الغالب تتم هذه الطريقة على قطع من نسيج الحرير(٧٣).

ذ) **طريقة التطريز بالأبرة** :- وتتم بإستخدام خيوط تختلف ألوانها عن لون النسيج تنفذ بواسطة الإبرة بين خيطين وبغرز ثلاثة هي :غرزة السلة وغرزة البلانكيت ثم الغرزة الملفوفة (٧٤).

ر) طريقة التابستري :- وفيها تتم الزخرفة أثناء عملية النسج بإستخدام خيوط اللحمة ملونة بألوان تختلف عن خيوط السدى, وفيها تظهر العناصر الزخرفية بعيدة عن الطبيعة ذات حافات مسننة[٧٥], إلاإن الفنان النساج العراقي كان قد أبدى مقدرة فائقة في تنفيذ الألوان وتوزيع الضوء فأخرج صورا"تكاد تكون مجسمة[٧٦].

ومن الجدير بالذكر أن نشيرإلى بنماذج من قطع النسيج الملونة والمزخرفة بمختلف الطرق المذكورة والموزعة بين المتاحف العالمية منها:

قطعة في بيعة القديس إيزدور في أسبانيا[٧٧] منسوجة بخيوط الحرير الأحمر ومزينة بعناصر زخرفية ملونة باللون الأحمر والأصفر والأسود ثم الأبيض منفذة أثناء عملية النسج وتتمثل بعنصر الفيل والأسد وأغصان نباتية وكذلك أشرطة كتابية بالخط الكوفي المورق نقرأ منها :مما عمل في بغداد (طردا" و عكسا") ثم عبارة :(البركة من الله) (طردا" و عكسا"), الشكل(١).

وفي متحف برلين قطعة من نسيج الكتان[٧٨] المصبوغ باللون الأحمر يزينها ثلاثة أشرطة كتابية بالخط الكوفي البسيط والمنفذة بالتطريز بخيوط مختلفة الألوان نقرأ من بين السطور إسم الخليفة هارون و عبارات دعائية وإسم الصانع مروان[٧٩] .

وضمن(مجموعة مايرس) بمدينة واشنطن قطعة من نسيج الحرير تزدان بزخرفة حيوانية ونباتية مثلت بشكل بعيد عن الطبيعة ونفذت بطريقة (الثابستري) بخيوط الحرير ذي اللون الأسود والأزرق الفاتح وكذلك الأخضر والأحمر الأرجواني وخيوط الذهب[٨٠],الشكل(٢) .

كلمة أخيرة نقول فيها أن هذه المعلومات قد أثبتناها هنا على أساس ما كشفت عنه الحفائر الأثرية إلى جانب النصوص التاريخية , وفيها نلمس تألق الفن العربي الأسلامي في مجال الألوان والأصباغ على المنسوجات وقد إكتملت شخصيته وبلغ أوجه في عهد الدولة الإسلامية, فتلك الزخارف المدهشة والخط اجميل العذب والألوان الساحرة تدل دلالة قاطعة على مدى مابلغه الفنان النساج من الخبرة الواسعة في إختيار الألوان وتنفيذ العناصر الزخرفية والإسلوب الفني ومن ثم التناسق بين الألوان ورقة النسيج .

قائمة بأسماء السور الشريفة وعدد الأيات الكريمة

الألوان الرئيسية	عدد الأيات القرآنية	إسم السورة
الأبيض	أربع أيات	أل عمران،البقرة,الأعراف,القصص
الأسود	خمس أيات	أل عمران ،الزمر,الصافات,النحل,الزخرف
الأحمر	أية واحدة	فاطر
الأخضر	ست أيات	الكهف,الرحمن,الأنعام,يس,الإنسان,الحج
الأصفر	خمس أيات	البقرة,المرسلات,الروم,الزمر,الحديد
الأزرق	أية واحدة	طه
الألوان فرعية		
المدهمة	أية واحدة	الرحمن
الحوة	أية واحدة	الأعلى
الحور	أيتين	الواقعة,الرحمن
الوردي والدهان	أية واحدة	الرحمن
اليحموم	ثلاث من أيات	الواقعة

الهوامش

١. إبن منظور- لسان العرب- مادة لون ,وإنظر :إبن سيدة- المخصص –السفر الثاني- ص١٠٣
٢. القرأن الكريم –سورة الروم –الأية(٢٢)
٣. سورة الزمر –أية(٢١)
٤. جدد : أي الطرق والشهاب وفيها تختلف درجات الألوان
مخلوف – حنين محمد –تفسير القرأن الكريم –دمشق – دار علوم القرأن
٥. غرابيب :كالأغربة شديدة السواد ويظهر ذلك في تنوع ألوان الصخور
مخلوف (المصدر السابق)
٦. سورة فاطر –أية (٢٧)و(٢٨)
٧. سورة الأعراف –أية(١٠٨)
سورة القصص - أية(٣٢)
٨. سورة أل عمران - أية(١٠٧)
٩. سورة البقرة - أية(١٨٧)

١٠. سورة أل عمران - أية(١٠٦) (١٠٧)
١١. سورة الزمر –أية(٦٠)
١٢. سورة يس –أية(٨٠)
١٣. سورة الكهف –أية(٣١)
١٤. سورة الدهر –أية(٢١)
١٥. سورة البقرة - أية(٦٩)ومعنى فاقع لونها أي شديد الصُفرة(تفسير القرأن)
١٦. سورة طه - أية(١٠٢)
١٧. سورة فاطر –أية (٢٧)
١٨. سورة الرحمن –أية (٦٤)
١٩. سورة الأعلى –أية (٥)
٢٠. سورة الواقعة –أية(٢١) و(٢٢)
سورة الرحمن - أية(٧٢)
٢١. سورة الرحمن - أية(٢٧)
٢٢. سورة الواقعة –أية(٤١) و(٤٢) وأنظر : الدوري – عياض عبد الرحمن – دلالات اللون في الفن الإسلامي - بغداد -٢٠٠٣- ص ٦٣
٢٣. عمر- أحمد مختار – اللغة واللون – الكويت – دار البحوث – ص٦٥
٢٤. الدوري –المصدر السابق – ص٤٣
٢٥. الجادر –وليد – الحرف والصناعات اليدوية في العصر الأشوري-بغداد – ١٩٧٢ص١٢٦
٢٦. الجادر –المصدر نفسه – ص٢٠٢-٢١٩
٢٧. الدوري –المصدر السابق- ص٤٥
٢٨. الكبيسي –المصدر السابق- ص١٢٦
٢٩. الأبشيهي -شهاب الدين -المستطرف في كل فن مستظرف- بيروت– ج٢- ص ٢٧٤
٣٠. الجادر –المصدر السابق – ص٢٢٣
٣١. الكبيسي – نفس المصدر – ص١٢٦
٣٢. الدوري – نفس المصدر - ص٤٩
٣٣. ماهر - سعاد-مشهد الإمام علي في النجف الأشرف-مصر-ص٢٨٠
٣٤. المختار - فريال داود-المنسوجات العراقية الإسلامية-بغداد-١٩٧٦- ص٤١
٣٥. الجادر –وليد – الحرف والصناعات اليدوية في العصر الأشوري-بغداد – ص١٦٩

٣٦. ليفي-مارتن-الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية-ترجمة مجموعة من الأساتذة-بغداد—١٩٨٠ص١٥٠
٣٧. ليفي –المصدر السابق – ص١٥٠
٣٨. الجادر –المصدر السابق – ص١٦٩
٣٩. الكبيسي-حمدان عبد المجيد-الصناعة-حضارة العراق- بغداد-١٩٨٤-ج٥– ص١٣٤
٤٠. الجادر –المصدر السابق – ص١٧٠
٤١. وردت كلمات في اللغة البابلية والأشورية تشير(إلى الصبغة الحمراء والنسيج الصوفي المصبوغ بالأحمر...) أنظر : الجادر –المصدر السابق – ص١٧٠
٤٢. تختلف هذه الدودة من حيث الشكل والحجم حسب المناطق التي تنمو فيها(ليفي –المصدر السابق – ص١٥٣)
٤٣. أنظر (طه باقر-(أشجار وردت في اللغة السومرية)مجلة سومر١٩٥٢عدد٨-ج٢-ص١٦-١٧وتكثر في شمال العراق
٤٤. الجادر –المصدر السابق – ص١٩٣
٤٥. الجادر – نفس المصدر
٤٦. منذ الألف الثاني ق.م عرف السومريون ثم الأكديون الصبغ باللون الإرجواني(ليفي –المصدر السابق – ص١٥٤)
٤٧. تضم مجموعة الألوان الصدفية:اللون الأزرق المصفر والأزرق المائل للخضرة وطيف اللون الأصفر المائل إلى البنفسجي(الجادر –المصدر السابق – ص٢٠٠)
٤٨. الجادر –المصدر السابق
٤٩. ليفي –المصدر السابق – ص١٥٤
٥٠. ليفي –المصدر نفسه – ص١٥٥
٥١. ليفي –المصدر السابق
٥٢. حبة-فرج-الكيمياء في العراق القديم-سومر١٩٦٩مجلد٢٥-ص١٠١
٥٣. الزاج هو مايعرف اليوم بالكبريتات أو السلفات منه الأبيض(سلفات الزنك)والأزرق(سلفات النحاس)ويعرف أيضا"بالزاج الأخضر وهذه الصبغات الكيمياوية لها قابلية النفاذ في دقائق النسيج(الجادر –المصدر السابق – ص١٩)
٥٤. ليفي –المصدر نفسه – ص١٤٨

٥٥. يحدث التأكد بواسطة كاربونات الصودا التي تتوفر في هذه العصارة والتي تعمل على ثبات اللون بشدة على النسيج الصوفي خاصة وأنواع الخيوط عامة (الجادر –المصدر السابق – ص١٧٦)
٥٦. الجادر –المصدر السابق
٥٧. ليفي –المصدر السابق – ص١٥١وتستخدم الحنة لصبغ شعر الرأس أيضا"
٥٨. ليفي – نفس المصدر
٥٩. حبة- المصدر السابق-ص ١٠٢
٦٠. الجادر –المصدر نفسه- ص٢١٤والكركم نبات ذات عروق صفر من فصيلة (ازنجبيليات) (الجادر –المصدر السابق – ص٢١٣)
٦١. حبة- المصدر السابق-ص ١٠٢
٦٢. الجادر –المصدر السابق – ص٢٢٤
٦٣. الأبشيهي - المصدر السابق– ص٢٧٤
٦٤. نفس المصدر
٦٥. حبة- المصدر السابق-ص ١٠١
٦٦. ليفي –المصدر السابق – ص١٤٩
٦٧. أدي شير –الألفاظ الفارسية المعربة – بيروت١٩٥٨-ص١٢٦
٦٨. حبة- المصدر السابق-ص ١٠١
٦٩. ماهر - المصدر السابق-ص ٢٨٠
٧٠. ماهر - المصدر نفسه-ص ٢٨١
٧١. المختار - المصدر السابق-ص ٢١١
٧٢. ماهر - المصدر السابق-ص ٢٨٤
٧٣. نفسه - ص ٢٨٤
٧٤. أنظر : المختار - المصدر السابق-ص ٢١١-٢١٢,الأشكال (٥٩،٦٠،٦١)
٧٥. ماهر-سعاد- منسوجات المتحف القبطي-القاهرة١٩٥٧- ص ١٥- ١٩
٧٦. المختار - المصدر نفسه-ص ٢١٥
٧٧. رقم القطعة في سجل البيعة(١٦), المختار - المصدر نفسه-ص ١٨٦
٧٨. رقم القطعة في المتحف(١٦-S)٤٥٠٤
٧٩. المختار - المصدر السابق -ص ٢١٥
٨٠. نفس المصدر-ص ٢٠٤

المصادر

١- القرأن الكريم
٢- الأبشيهي- شهاب الدين بن محمد-المستطرف في كل فن مستظرف- بيروت لبنان .
٣- ليفي - مارتن- الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية-ترجمة مجموعة من الأساتذة- بغداد-١٩٨٠
٤- الجادر-وليد-الحرف والصناعات اليدوية في العصر الأشوري-بغداد .
٥- حسن-زكي محمد-فنون الإسلام-القاهرة ١٩٤٨
٦- حبة-فرج-الكيمياء في العراق القديم-سومر١٩٦٩مجلد٢٥
٧- ديماند-الفنون الإسلامية-ترجمة أحمد محمد عيسى-مصر١٩٥٨
٨- ماهر-سعاد- منسوجات المتحف القبطي-القاهرة١٩٥٧
٩- ماهر-سعاد-مشهد الإمام علي في النجف الأشرف-مصر
١٠- مخلوف حنين محمد-تفسير القرأن الكريم-دمشق
١١- الكبيسي-حمدان عبد المجيد-الصناعة-حضارة العراق- بغداد-١٩٨٤-ج٥
١٢- المختار-فريال داود-المنسوجات العراقية الإسلامية-بغداد-١٩٧٦
١٣- الدوري-عياض عبد الرحمن- دلالات اللون في الفن الإسلامي- بغداد-٢٠٠٣